HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة (التصنيف: ISI و NSP)
معامل التأثير العربي للعام 2020 = 0.44
معامل تأثير ISI للعام 21/20 = 0.352

عنوان البحث

الشعراء الجاهليين والعوامل المؤثرة في شعرهم

علي مهيمن إبراهيم حمزة الخزرجي[1]

[1] طالب دكتوراه، كلية التربية الحصاحيصا، جامعة الجزيرة، السودان

اشراف

أ.د. محمد أحمد الأمين

تاريخ النشر: 2021/07/01م تاريخ القبول: 2020/12/21م

المستخلص

قسّم النقاد والكتّاب والباحثين في تاريخ أدب العرب قبل الإسلام الشعراء في الجاهلية إلى قسمين هما الشعراء الصعاليك والشعراء الفرسان؛ الصعاليك هم جماعة من شواذ العرب وذؤبانها، كانوا يغيرون على البدو والحضر، ولذلك يتردد في شعرهم صيحات الجزع والفقر والثورة؛ أشعار الصعاليك حافلة بالحديث عن الفقر ، فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحداً؛ كان أمير الشعراء الصعاليك هو عروة بن الورد؛ يتناول شعر الشعراء الصعاليك جانباً من طبيعة البيئة القاسية التي كانوا يحيون فيها؛ أهم الأسباب التي دفعت العربي إلى اعتناق الفروسية ، فهي فكرة الموت والفناء التي جعلته حريصا على بلوغ الخلود المعنوي من خلال تلك الخصال الحميدة والاتصاف بها؛ أنّ الفارس يسعى من خلال إنصاف خصمه إلى إثبات الصفات الإيجابية لـ(الأنا) على (الأنتَ) فيكون فخراً غير مباشر للذات؛ تُعدّ اللغة من أبرز العوامل المؤثرة في الناحية الأدبية؛ كانت عكاظ معرضًا للبلاغة ومدرسة يُلقى فيها الشعر والخطب؛ المعلقات هي من خير شعر العرب وأدله على لغتهم وبلاغتهم و وصف حياتهم الاجتماعية ومناحيهم في الحياة؛ كانت الحروب الطاحنة دافعاً للشعراء لنظم الشعر، فنظموه ناصحين؛ الشعر العربي القديم شعر معارك وأيام ، فقد كانت الغارة مَعْلَمًا واضحًا من معالم الحياة الجاهلية.

RESEARCH ARTICLE

THE PRE-ISLAMIC POETS AND THE INFLUENCING FACTORS IN THEIR POETRY

Ali Mohaymin Ibrahim Hamza Alkhazraji[1]

[1] PhD student, College of Hasahisa Education, University of Gezira, Sudan

Supervised by Prof. Mohamed Ahmed Al-Amin

Published at 01/07/2021 **Accepted at 21/12/2020**

Abstract

Critics, writers, and researchers in the history of Arab literature before Islam divided the poets in the pre-Islamic era into two parts: the Tramp poets and the Knights poets; The tramps are a group of perverse Arabs and their wolves, they used to jealousy the Bedouins and the urbanites, and therefore the cries of anxiety, poverty, and revolution in their poetry were repeated; The poems of the Tramps are full of talk about poverty, for all tramps are poor, from whom we do not exclude anyone; The prince of the tragic poets was Urwa ibn al-Ward; The poetry of the tramps deals with part of the nature of the harsh environment in which they lived; The most important reason that pushed the Arab to embrace equestrianism, for it is the idea of death and annihilation that made him eager to attain moral immortality through those good qualities and attribute them; That the knight seeks, through fairness to his opponent, to prove the positive qualities of (the ego) on (you) so that he is indirect self-pride; Language is one of the most important factors affecting the literary aspect; Okaz was a subject of rhetoric and a school of poetry and speeches; The muallaqat is one of the best poetry of the Arabs and is evidence of their language and rhetoric, and a description of their social life and their aspects of life; Crushing wars were a motivation for poets to compose poetry, so they organized it as advisors; Ancient Arabic poetry is poetry of battles and days, as the raid was a clear landmark of pre-Islamic life.

مقدمة:

يشمل العصر الجاهلي كل ما سبق الإسلام من حِقب وأزمنة؛ فهو يدلّ على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، وتحديد فترة العصر الجاهلي في الأدب والشعر لا تغطي كل المدة التي قبل الإسلام، لأنّ مؤرخي الأدب لم يؤرخوا لأكثر من قرن ونصف القرن قبل الإسلام، وهي الحقبة الزمنية التي تكاملت للغة العربية خصائصها فيها، والتي جاء عنها الشعر الجاهلي، ويقول الجاحظ في ذلك : "إنّ الشعر العربي حديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له –إلى أن جاء الله بالإسلام– خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"[1].

وكان للشعراء منزلة سامية عند العرب ومنزلة سامية جداً ، وكانت لهم أسمى مكانة في نفوس الناس ، فالشعراء في قبائلهم لسان حالهم ، والمدركون لأخبارهم والمسجلون لأفضالهم وأمجادهم لذلك احتفوا بهم حتى أنّه إذا ظهر في القبيلة شاعر مجيد أقبلت عليه وفود القبائل الأخرى للتهنئة وبدأت قبيلته تقيم الأفراح وتنحر الذبائح ، وتقدِّم الأطعمة للناس وتخرج نساء القبيلة يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، إذ كان الشاعر يدافع عن القبيلة بشعره ولسانه أكثر مما يدافع عنها الفارس بسيفه وحرابه ، كما كان هو الذي يسجل الأحداث والوقائع ويرد على شعراء القبائل الأخرى إذا تعرضوا لقبيلته بما لا تحب[2] .

وقد أثرت عدة عوامل على نتاج الشعراء الجاهليين، فالشاعر ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، ولم يترك العرب شيئاً مما وقفت عليه آدابهم واعتقدوه في نفوسهم إلّا نظموه شعراً ، حتى أنّنا نرى مجموع أشعارهم ديواناً فيه صورة صادقة لأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستبيحون[3].

مشكلة البحث

تواصلت الدراسات الهادفة إلى معرفة الشعر الجاهلي وتأثُّره بالمجتمع الذي يحيط به وتأثيره فيه، والعوامل التي أثَّرت في شعر شعرائه، ومن هنا برزت مشكلة البحث في بيان تقسيم العلماء والنقاد للشعراء الجاهليين ، والعوامل التي أثَّرت في شعرهم وأثرت نتاجهم الشعري.

فروض البحث

- انقسم الشعراء الجاهليين إلى قسمين رئيسيين بحسب تقسيم العلماء والنقاد.

---

[1] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص74.

2 – الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994م ج2 ، ص365 .

[3] – الزيات, احمد حسن الزيات, تاريخ الأدب العربي, دار النشر. بيروت،, ط1, 2006, ج1, ص75 .

- اختلفت حياة وأشعار الشعراء الجاهليين باختلاف البيئة التي يعيشونها .
- هنالك عدة عوامل أثَّرت في الشعر الجاهلي وأثْرتهُ.

أهداف البحث

- يهدف البحث إلى إثراء دراسات الشعر الجاهلي وشعرائه والتعرُّف على تصنيف النقاد والعلماء لهم.
- التعرُّف على العوامل التي أثّرت في الشعر الجاهلي.
- الدور الكبير للشعر والشعراء الجاهليين في إثراء المكوِّن الشعري العربي بما يذخر به من ناحية الأسلوب واللغة جمال البيان وقوة اللفظ.

منهج الدراسة

إتباع المنهج التاريخي في تدوين الأحداث العامة، والمنهج التحليلي الموضوعي في الأبيات الشعرية.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على الدراسات التي تخص الشعراء الجاهليين والعوامل المؤثرة في شعرهم، لم أجد موضوع تطرق لنفس الموضوع بمعطياته التي طرحتها في البحث، ولكن وقفت على بحوث مشابهة من حيث الموضوع الأساسي وهو الشعر والعصر الجاهلي، منها:

- رسالة دكتوراه بعنوان (مكانة الشاعر في المجتمع الجاهلي)، فتحي إبراهيم أحمد خضر، كلية الآداب، جامعة النيلين، السودان، 2001م.

- رسالة ماجستير بعنوان (حركة الشعر في بني نهشل من تميم في العصر الجاهلي) للطالب فتحي إبراهيم أحمد خضر، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1995م.
- رسالة ماجستير بعنوان (شعر الأسر والسجن في العصر الجاهلي) لأريج عيسى أحمد تليلان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، الأردن، 2010 – 2011م.

الشعراء الجاهليين والعوامل المؤثرة في شعرهم

1/ الشعراء الجاهليين:

قسّم النقاد والكتّاب والباحثين في تاريخ أدب العرب قبل الإسلام الشعراء في الجاهلية إلى قسمين هما الشعراء الصعاليك والشعراء الفرسان، سنتناولهما بالتفصيل في هذا البحث.

أولاً: الشعراء الصعاليك:

يقول ابن منظور في قاموسه الجامع : "الصُّعلوك: الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد"[4]، وتدور معظم المعاجم العربية على هذا النحو في تعريفها للصعاليك أو الصعلوك، فهو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل ليشق طريقه فيها ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها يداً واحدة[5].

الصعاليك في عرف التاريخ الادبي هم جماعة من شواذ العرب وذؤبانها، كانوا يغيرون على البدو والحضر فيسرعون في النهب، ولذلك يتردد في شعرهم صيحات الجزع والفقر والثورة ويمتازون بالشجاعة والصبر وسرعة العدو ، وحين نرجع الى اخبار الصعاليك نجدها حافلة بالحديث عن الفقر ، فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحداً حتى عروة بن الورد سيد الصعاليك الذين كانوا يلجئون اليه كلما قست عليهم الحياة ليجدوا مأوى حتى يستغنوا ، فالرواة يذكرون انه كان صعلوكا فقيرا مثلهم[6].

وقد ميّز الباحثون تاريخ العرب قبل الإسلام عن ثلاث مجموعات منهم: مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم، مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية وأبي الطحان القيني، ومجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم، مثل السليك بن السلكة وتأبط شرًّا والشَّنْفَرى، ومجموعة ثالثة احترفت الصعلكة احترافًا، وحينئذ قد تكون أفرادًا مثل عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف [7].

كان الصعلوك يصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية الفردية مظهرًا من مظاهر التمرد، وتنقطع الصلة بين المجتمع والصعلوك، فيتخلى المجتمع عنه، وتحرمه قبيلته حمايتها، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء الأشحاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وسرعة العدو؛ حتى ليسمون بالعدائين، وحتى لتضرب الأمثال بهم في شدة العدو؛ فيقال: "أعدى من السليك" و"أعدى من الشنفرى"، وتُروى عنهم أقاصيص كثيرة في هذا الجانب؛ من ذلك ما يقال عن أحدهم ويسمى تأبط شرًّا من أنه "كان أعدى ذي رِجلين وذي ساقين وذي عينينِ، وكان إذا جاع لم تقُم له قائمة؛ فكان ينظرُ إلى الظباء، فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه، فلا يفوته، حتى يأخذه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله"[8].

لقد كان الصعلوك على هذا النحو من الأخبار التاريخية والمعاني اللغوية، فيبدأ فقيرًا ثم يحاول أن يتغلب

---

[4] – ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، مادة (صعلك)، ج8، ص244.

[5] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، (د. ت)، ص26.

[6] – المرجع السابق، ص26.

[7] – الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق على ذهني وسمير جابر ، دار الفكر، بيروت،ط1، ج18، ص210.

[8] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص375.

على الفقر الذي فرضته عليه أوضاع اجتماعية أو ظروف اقتصادية، وأن يخرج من نطاقه ليتساوى مع سائر أفراد مجتمعه، ولكنه –من أجل هذه الغاية– لا يسلك السبيل التعاوني، وإنما يدفعه موقفه البائس، وشخصيته غير المتعاونة إلى سلوك سبيل الصدام والصراع. إن الصعلوك كان يصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية الفردية مظهرًا من مظاهر التمرد، وتنقطع الصلة بين المجتمع والصعلوك، فيتخلى المجتمع عنه، وتحرمه قبيلته حمايتها، ويعيش الصعلوك خليعا مشرّدًا، أو طريدًا متمردًا، حتى يلقى مصرعه، أما أعداؤه فقد استراحوا من هذا الفزع الذي كانوا يترقبونه كل حين كما يترقب غائبا "منتظرَاَ أهلُه" –على حد تعبير زعيم الصعاليك عروة بن الورد[9].

لقد استمرت مشكلة الصعاليك لمدة طويلة، يغيرون ويأكلون وينفقون على أنفسهم، ومن يرونه فقيرا مثلهم من مال الأغنياء الأشحاء، ثم في أوقات الصفاء أو الكدر والعناء يبرعون في الشعر، وقد ساعدهم على استمرار وجودهم طبيعة الجزيرة العربية القاسية، إذْ الجبال والوديان الوعرة، وصعوبة اللحاق بهم، أو العثور عليهم بسهولة، ولذلك لا عجب أن تجد في شعر العرب عامة، والصعاليك خاصة ما يصور لنا جانبا من طبيعة البيئة القاسية التي كانوا يحيون فيها، فتارة يصفون شدة البرودة، وتارة شدة الحر والهجير والرمضاء ، فهذا أحدهم يقول:

وَيَومٌ من الشَّعرى يذوبُ لوابَهُ ** أفاعيَهُ في رمضائِهِ تتململُ[10]

فكلُّ شيء في هذه الصحراء قاس وعنيف، فلا عجب أن تنجب أبناء قساة أشداء يألفونها، ويحيون فيها، لما تُيسّره لهم من الاختفاء في مجاهلها، وجبالها ومتاهاتها، لذلك نجد أن الصعاليك على الرغم من نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب إلا أنّهم يفضلون دائما أنْ يكونوا في كنف هذه الطبيعة صعبة المنال، فنجدهم يألفون الجبال والقفار والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها[11].

وحين ننظر إلى شعرهم نجده حافلاً بذكر هذه الأماكن الوحشية الموغلة في الوحشة والامتناع، فالصعلوك الشاعر تأبّط شرًا يتحدّث عن موضع كان يخافه العرب لاعتقادهم أنه لا يخلو من الغول والأفاعي هذا المكان يسمى "رحى بطان"، ولكن تأبّط يألف هذا المكان ولا يخاف غيلانه وسعاليه بل يتحدث بفخر في شعر عن قتله إحداها قائلاً[12]:

ألا مـن مُبلّغ فتيان فَهْـم ** بمـا لاقيتُ عند رحى بَطان

---

[9] – الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص210.

[10] ــ أبو علي الغالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي في لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ – 1978م، ج3، ص211.

[11] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص60.

[12] – ابن حمدون، محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (562هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ، ج7، ص348.

بأني قد لقيتُ الغول تهوي ** بسهبٍ كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرّت ** صريعًــا لليدينِ والجــرانِ

لقد كان الصعلوك يفارق قومه، ويعارض عشيرته؛ لأنها تقيم على ضيم، وهو يأبى الضيم، ولأنّها تذيع السر، وهو يحفظ السر، ولأنها تخذل الجاني بما ارتكب من جنايات، وهو ينفر من هذا الخذلان، ولذا فهو يلتمس له مضطربا في الأرض ينأى به عن الأذى، ومنعزلا فيها يشعره بالحرية والكرامة، ويقيه أسباب القلى والبغض، وهو يستبدل بأهله وعشيرته أهلا وعشيرة من الحيوان والوحش، هذه المخلوقات التي لا تذيع سرا ولا تخذل صديقا أياً كانت جريرته[13].

انقسم الصعاليك من ناحية النوازع الداخلية إلى فريقين، فهناك الشخصية المتمردة التي رأت في هذه الحركة فرصة سانحة تظهر فيها بطولتها الفردية، وتستغلها إلى أبعد حد في إرضاء ما في نفسها من نزعة شريرة تصبغ حياتها كلها بلون من الدم الأحمر القاني محبب إليها لا يرضيها إلا أن ترى تلك الرؤوس اليانعة، ورؤس الأغنياء المترفين تتطاير تحت ضربات سيوفها، ولا يبالون كذلك بأن يوجهوا حركتهم هذه ضد أية جماعة من الناس لا ترضى عنهم، والمجموعة الأخرى من الصعاليك رأت أن يكون تمردها وسيلة لغاية معينة، وهي رفع الظلم عن المظلومين، وتهيئة الفرصة للفقراء المهضومة حقوقهم ليشاركوا سائر أفراد مجتمعهم في حياة اجتماعية كريمة عن طريق إحداث نوع من المساواة، وإلى هؤلاء ينتمي أمير الصعاليك عروة بن الورد العبسي[14].

وكان أمير الشعراء الصعاليك هو عروة بن الورد، وقد سُمي بعروة الصعاليك كما يقول بعض المؤرخين؛ لأنّه "كانَ إذا شكا إليه فَتى من فتيَان قومه الفقر أعطَاهُ فرسا ورمحا وقال لهُ: إن لم تستغنِ بهما فلَا أَغنَاك الله"، لذا كان عروةُ فارسًا لا يرى نفسه إلا مع الفقراء، ولا يحبّ إلا أن يكون الفقراء أقوياء، حتى ولو أغاروا على قبائلهم أو أعدائهم، وكان يجمعُهم ويقومُ على أمرهم ويعطيهم إذا أخفقوا في غزواتهم[15]. ومع ذلك كان عروةُ يكره الفقر، ويرى مآسيه في الناس والقبائل مِن حوله، لقد كان يأنف من أن ينظر الناس إليه بمنقصةٍ أو ازدراء، ولم يكن يمكث في بيته إلا قليلا، يحبّ أن يملك المال والطعام دوما، يقود الصعاليك من الشعراء والفرسان ويغير بهم على أحياء العرب، وحين سألته زوجته ذات مرة عن وجهته رد عليها قائلاً[16]:

---

[13] – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص438.

[14] – عبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1958م، ص426.

[15] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص321.

[16] – الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1424هـ – 2003م، ، ص103.

ذريني للغنى أسعى فإنّي ** رأيتُ النـاسَ شرّهم الفقيرُ

وأبعدُهم وأهونُهم عليهم ** وإن أمسى له حَسب وخيرُ

ويُقصيه النّديّ وتزدريه ** حليلتُه وينهـرُه الصـغيرُ

وتلقى ذا الغِنى ولـه جلال ** يكادُ فؤادُ صـاحبِه يطـيرُ

قليــلٌ ذنبُه والذنبُ جمّ ** ولكنّ الغـني ربّ غفـورُ

لقد كان عروة أميراً للصعاليك محباً للصحراء والغزو، وقد كان من كبار فرسان عبس مثل عنترة ثم من كبار فرسان العرب، وقد اعترف القريب والبعيد بفروسيته وتميزه، بل حين طلق عروة زوجته، قامت في جمع الناس تعترف بخصاله قائلة: "أما أنك والله الضّحوكُ مُقبلاً، السَّكوت مدبرا خفيفٌ على ظهر الفرس، ثقيلٌ على مَتن العدوّ، رفيع العماد، كثير الرماد، تُرضي الأهلَ والأجانبَ"[17].

وهكذا كان الصعاليك، شرذمة من العرب طحنهم الفقر، وكونوا لأنفسهم مجتمعاً موازياً بقوانين خاصة بهم، ساعدهم عليها اتساع الجزيرة العربية، وصعوبة مسالكها التي اتخذوها مسكنًا وملجئًا وفوق ذلك وجود الظلم الطبقي الذي كان يرفع الناس على أصول من الحسب والنسب والمال، فكانت إغارتهم مقاومة وغصبا في آن، ولعلنا في تقاريرنا القادمة نقف مع شخصيات من شعراء الصعاليك الآخرين ونبرز حياتهم مثل الشَّنفرى وتأبط شرّا والسليك بن السلكة وغيرهم.

الشعراء الفرسان:

ارتبط مصطلح الفروسية بالعصر الجاهلي، لما كان لهذا العصر من طبيعة تحفزية، فالسيف دائمًا سبّاق إلى الكلام، والعربي لا يمل الحروب والمعارك حتى سُمّيتْ لكثرتها بأيام العرب، فكان للفروسية والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والكلمة العليا بين العشائر، وكانوا يسجلون بطولاتهم بأشعارهم فتنشر بين القبائل، ويُتغنى بها في أسواق عكاظ وفي البادية والأمصار[18].

وتعني الفروسية في العصر الجاهلي البطولة في الحرب، والبلاء في المعركة، والعِفة عند توزيع الغنائم، وإطعام الضيف، وحماية القبيلة، والذود عن المرأة، وتلبية دعو المستغيث والاستجابة لصرخة المنادي، إلى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الإنساني بالآخر[19].

وقد كانت الفروسية مجالاً ثريًا للحديث عنها في مجال الشعر الجاهلي، وقد كان للنظام القبلي الدور الأكبر في تكوين فصيلة من الفرسان الذين يحملون ألوية القبيلة في حروبها العتيدة، فالنظام القبلي إذن هو

---

[17] – أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017م ص64.

[18] – ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (751هـ)، الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود، دار الأندلس، حائل، ط1، 1414هـ – 1993م ، ص2.

[19] – القيسي، نوري حمودي، الفروسية في العصر الجاهلي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص29.

الذي أوجد نظام الفرسان الذين يمثلون الجيش في الدولة[20].

والجذر اللغوي للفروسية (فرس)، وقد تناولتْها المعاجم في معانٍ عدّة ، منها ما ورد في لسان العرب: "الفرس: واحد الخيل والجمع أفراس، فرس الأسد فريسته يفرسها فرساً، وافترسها أي دقّ عنقها ، وقالوا: الفرس، والنخع، وهو أن ينتهي بالذبح حتى يصل إلى النخاع ، والفرس للذكر والأُنثى ولا يقال للأنثى فرسة، وراكب الفرس فارس، أي صاحب الفرس، والفارس الحاذق بما يمارس من الأشياء كلها"[21].

إنّ الفروسية ليست مجرّد علم بفنون القتال وإستعمال السلاح وركوب الخيل إنما هي تحلٍّ بالقيم العليا والمثل الأخلاقية الرفيعة ، ويساعد في ثبات ذلك ما يتّسم به العربي من فطرة سليمة ، وإلا لما كان العرب يفخرون بفرسانهم و يلوذون بحماهم ، فقد اعتزّ العرب بفرسانهم وافتخروا بهم أحياءً وبجَّلوهم و صانوا جميلهم و حفظوا ذكراهم أمواتاً، ولم يكن الفارس في نظر الآخرين إنساناً اعتيادياً بل كان البطل في القبيلة وفي عهود الحياة الأولى للأمم يعدُّ شخصاً مقدّساً، بل كانوا يظنونه أحياناً من سلالة الآلهة[22].

لقد كانت الفروسية تمثل جانبين من جوانب الحياة الجاهلية، جانب الحرب وجانب المُثل العليا فشخصية الفارس البطل تُملي عليه أن يكون إنساناً سامياً في مُثله إلى جانب بطولته، والحياة الجاهلية بطولة متصلة وحماسة متشابكة الأجزاء، وتجتمع أسها ليقوم عليها البناء الشامخ الذي احتضن الفروسية بكل مفاهيمها ومعانيها، فهي كل المعاني التي فخر بها الجاهلي، وهي واسعة الانتشار في الحياة الجاهلية[23].

فالحياة في البادية حياة فروسية، يعمل الأبطال فيها على حماية المستضعفين والبائسين، ونجدة الملهوفين وإغاثة المحرومين، وقد تغنّى الشعراء من ثم بحفظ الجار ةإعزاز جانبه ، وبتلبية دعوة المكروبين في الحرب، وبفك العاني الذي أُسر، وبالدفاع عن المرأة، وبكل ما هو من ميزات الفروسية الحق التي ترفع الإنسان إلى درجة عالية من السمو والكمال[24].

والقتال عند الفرسان العرب ليس لعباً وكيفاً، فالفارس يعلم أنّه سائر إلى الموت، وأنّ الحرب تعجل بهذا المسير، لكنّه يأبه لذلك لأنّ يقينه أن الحرب لا تقدر مع أنّها مليئة بالموت أن تغلق في وجهه أفق المستقبل وأبواب الحياة، والفروسية بهذا الشكل هي إفراز لمعاناة الجاهلي أمام الطبيعة والعدم والعدو[25].

أصبحت الفروسية صفة غالبة على معظم أبناء الصحراء العربية إنْ لم يكن كلّهم ، فقلَّما نجد عربياً في البادية لم يكن فارساً حتى جعلها عنترة فرضاً على كلِّ عربي وإلاّ فلنْ يستحق الذكر الحميد ولا حتى نعي

---

[20] – حنفي سيد، الفروسية العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص11.

[21]– ابن منظور، لسان العرب، (مادة فرس)، ج11، 154.

[22]– شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص1970م، ص9.

[23] – المرجع السابق، ص23.

[24] – حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م، ص10 – 11.

[25] – أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979م، ص17 – 18.

الناعيات بعد موته ، فيقول :

إذا قنــعَ الفتى بذَمِيـمِ عَيْشٍ ** وكان وراءَ سجْـفٍ كالبنـاتِ

ولم يَهْجِمْ على أُسْدِ المنـايا ** ولم يَطْعَنْ صُدورَ الصافِنـاتِ

ولـم يقْرِ الضُّـيوفَ إذا أَتَوهْ ** ولم يُروِ السُّيوفَ مــن الكُماةِ

فقُــلْ للنــاعياتِ إذا نَعَتْـهُ ** ألا فاقْــصِرْنَ نَدْبَ النــادبــاتِ

ولا تـَنْدُبْنَ إلاّ لَيْثَ غـــابٍ ** شُجــاعا ً في الحروبِ الثَّائراتِ[26]

ولم تختص بالفروسية فئة معيّنة في المجتمع فقد كان معظم العرب فرساناً باختلاف طبقاتهم الإجتماعية، فالفروسية هي التي تمنح معتنقيها المنزلة الرفيعة والمكانة السامية في المجتمع، ولم تمنح القبيلة الفارس تلك المنزلة إلاّ لما يتحلى به من صفات تجعله أهلا للثقة ومحط الأنظار والإعتزاز والتقدير، ومن تلك الصفات،أن يكون حاذقاً في ركوب الخيل وإستعمال السلاح، وفنون الإغارة، وأن يكون همّه إغاثة الملهوف وإجارة المظلوم لا إحراز الغنائم، وأن يكون فصيح اللسان بليغاً فيكون إما شاعراً أو خطيباً وأن يتجنّب فاحش القول وبذيئه، وأن يكون عفيف النفس ملتزما بالتقاليد والعادات، حليماً صبوراً يعفو عند المقدرة كريماً يطعم الجائع ويكرم الضيف[27] .

أمّا أهم الأسباب التي دفعت العربي إلى اعتناق الفروسية ، فهي فكرة الموت والفناء التي جعلته حريصا على بلوغ الخلود المعنوي من خلال تلك الخصال الحميدة والاتصاف بها؛ لأنّه يعلم أنّه لا فرار من ذلك المصير المحتوم فليس أمامه سوى مواجهته ببسالة وجرأة، فقد أدّى عامل القحط والجفاف الذي تعاني منه البيئة الصحراوية إلى إنبثاق ظاهرة الفروسية ، إذ كان دافعاً لإغارة بعض القبائل على بعض وسلب خيراتها لضمان البقاء، فضلاً على أن شعورالعرب بالضعف أمام قوّة الطبيعة وقسوتها فرض عليهم تقديس القوّة والبسالة وكذلك حماية القوافل والقبائل من الغارات المعادية ومن قطّاع الطرق (الصعاليك) ، فحملت بذلك الفروسية بُعدين : الأول : البقاء وإستمرار الحياة ، رغبة تسيطر على نفوس الجاهليين، ولاسيّما أنهم لم يعرفوا حياة أخرى غير التي يعيشونها لذلك حرصوا على استمرارها أطول مدّة ممكنة وسط هذه البيئة القاسية التي تنذر كلّ من فيها بالفناء ، والثاني ، الخوف من الفناء والإيمان بحتميّة وقوعه واليأس من بلوغ الخلود المادي فحرصوا على إيجاد البديل الذي يتمثّل بالخلود المعنوي ، وكانت الوسيلة لبلوغ ذلك الفروسية بما تحتويه من صفات إنسانية وأخلاقية نبيلة ، لأنها قبل أن تكون دقّ أعناقٍ وسفك دماءٍ كانت شهامة ومروءة[28] .

ومن أشهر الشعراء الفرسان قيس بن زهير، وعمرو بن كلثوم، وعمرو بن ودّ العامري، والأعشى، وزيد

---

[26]– عنترة بن شداد، الديوان ، تحقيق: يوسف عيد، دار الجيل ، بيروت، ص220.

[27]– القيسي، نوري حمودي ، البطل في التراث، بغداد، العراق، ط1، 1988م، ص6.

[28]– محمد زكي العشماوي، دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية ، بيروت، 1980م، ص12.

الخيل، والمهلهل بن ربيعة، وخفاف بن نُدبة، ودريد بن الصمّة، وعمرو بن معد يكرب، وبشر بن أبي خازم، وأو بن حجر، والعباس بن مرداس، والفند الزماني، وعبد يغوث وغيرهم[29].

وللفرسان الشعراء تقاليد اعتادوا على اتباعها قبل الحرب وأثناءها وبعدها، وبيان آثارها، فهذا هو الميدان الذي جال فيه الفرسان، فولجوه باهتمام بالغ فراحوا يُصوّرون بكُلّ ما أُوتوا من براعة شعرية وإبداع فني يبعث الإحساس بالهيبة والروع في نفوس المتلقين، وينقلهم الى تلك الأجواء الحربية حتى ليراها المتلقي ويعيش أحداثها فيخالجه ما يُخالج الشاعر من إحساس بنشوة النصر أو خيبة الأمل بعد الهزيمة[30].

ومن أبرز التقاليد الحربية التي اتبعها الشعراء الفرسان والتي تظهر جلية في دواوينهم: التهديد والوعيد، ويُعدُّ وسيلة إنفعالية بارزة حرص الفرسان على تأديتها قبل خوض المعركة، لإستفزاز الطرف الآخر وإحباطه في الوقت نفسه ،من خلال تصويرهم لما سيصيب الخصوم من نتائج مؤلمة بوصفهم غير كفوئين لمواجهتهم ، فيدبُّ بذلك الخوف والرعب بين صفوفهم ، ولعلّهم من خلال ذلك يحاولون اغراءهم بعدم خوض المعركة ضدّهم والعدول عنها ، ومن ذلك قول عنترة:

ألا مَـنْ مُبلغٌ أهـل الجُحـود ** مقـالُ فتىً وفيٍّ بالعُهـود

سـأخـرجُ للبراز خـليَّ بالٍ، ** بقلبٍ قُدَّ من زُبر الحديد

وأطعـنُ بـالقـنا حتى يراني ** عـدُوّي كالشّـرَارة مـن بعيد

إذا مـا الحربُ دارتْ لي رحاها، ** وطـاب الموتُ للرجل الشديد

ترى بيضـاً تشعشعُ في لظاها ** قد التصقتْ بأعضاد الزُّنود

فـأقحـمُها ، ولكن مـع رجالٍ، ** كـأنّ قلوبهـا حـجُر الصعيد

سـأحمـلُ بالأسـود على أسـودٍ، ** وأُخضّبُ ساعدي بدم الأُسود

بمـملـكـةٍ عليها تـاجُ عـزّ، ** وقومٍ مـن بني عبسٍ شُهود

فـأمّا القائـلـون: هزْبرُ قـومٍ ** فـذاك الفخرُ، لاشرفُ الجدود

وأمّـا القائلـون: قتيلُ طعنٍ، ** فذلك مصرعُ البطل الجليد[31]

يُهدد عنترة خصومه بالخروج والمبارزة من دون خوف و نلاحظ الفخر يتخلل ذلك التهديد والفخر بالنفس أمر عهدناه لدى عنترة في جميع أغراضه الشعرية ، وحرص الشاعر على استخدام صيغة الاستقبال ليمنح النص بُعداً دلالياً خاصاً من خلال المؤشرات الإستباقية تلك فيصبح النص غنياً بالشفرات، منها ما كان

---

[29]– المرجع السابق، ص15.

[30] – رحيق صالح فنجان، شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 1432هـ – 2011م، ص30.

[31] – عنترة بن شداد، الديوان، ص145 – 146.

مُتخلِّصاً من إحساس الشعور بالدونية الذي طالما عانى منه ، فيحاول أنْ يرسم صورة مرعبة تكون موجهةً نحو الخصم فيبعث في نفسه الرهبة ليحجم عن ملاقاته تجنُّباً للعواقب الوخيمة، ومنها ما يكون موظفاً لغاية الشاعر الخاصة فيفتخر بذاته فيُظهر بها شجاعته وشدّة بأسه ورغبته في الإنتقام من خلال إنزال أشدّ الهزائم بهم ، ومن الصور المرعبة التي إختارها صورة الحرب وتشبيهها بالرحى التي تُصيّر الحبوب دقيقاً فهي تُهلك الناس وتفتتهم بقوّتها الطاحنة[32].

فكان إستعماله للمفردات (الرحى ،الشرارة ،اللظى) يقابل في المعنى (الحديد، والحجر، والشدّة) ، فلا الرحى أو الشرارة أو اللظى تؤثر فيه فهو بطل شديد وبالتالي من يُنكر ذلك ويجحد بطولته وشجاعته دون أن يتراجع عن مواجهته سيسحقه ويفي بوعوده التي قطعها من دون أنْ يثنيه عن ثورته وتنفيذ وعيده شئ إلاّ بتحقيق أحد الأمرين: أمّا أن ينال مراده بنيل لقب الفارس الذي سيفخر به في كل زمان ومكان لا بنسبه ، وأمّا أن يكون قتيل الحرب والسيوف فينال الفخر بأن يُصرع مصرع الأبطال في ساحة القتال وهو ما يسعى إليه الفرسان ، فكان التهديد مجالا آخر للفخر الذاتي من جهة ومحاولة إحباط الخصم من جهة أخرى ، فجاء تهديد عنترة ليمثّل ثورته التي سعى إلى تحقيقها على مجتمعه الرافض لإنتسابه إليه ، فأتخذ عنترة من ذلك "وسيلة للإعلاء النفسي ومحاولة لجذب الأنظار اليه، وتأكيداً لشخصيته الفردية في مواجهة الذين يعملون على طمس هذه الشخصية، وكذلك يمكن أن نرى فيها نوعاً من الانتقام من المجتمع[33]

أمّا عروة بن الورد فنجده يتوعّد خصومه بالتعب والهمّ لما سيلحق بهم إذا ماحاربوه ، في أبيات تسيطر عليها الأنا بشكل بارز ، فيقول :

وأبلغ بني عوذ بن زيدٍ رسالـةً، ** بآيـة مـا إنْ يقصبوني يـكذبوا

فإن شئتـمُ عنَي نهيتُـم سفيهكُم ** وقال له ذو حلمكم : أين تذهبُ؟

وإن شئتـمُ حـاربتموني إلى مـدىً ** فيجدهكم شـأوُ الكظاظ المُغرِبُ[34]

من التقاليد الأخرى المهمة التي سار عليها الشعراء الفرسان في إغارتهم على الخصوم ، هو إختيار زمن المواجهة المناسب ، فنجدهم يحرصون على إختيار عنصر المباغته في توقيتهم الحربي الذي عادة ما يكون في الصباح الباكر لضمان النصر ولاسيّما وأنّ هم على أتمّ الأهبة والإستعداد لخوض تلك المعركة من الناحيتين ، النفسية ، والعسكرية . وقد اتضح لنا اختيار الفرسان وقت الصباح قبل زوال ظلمة الليل تماماً من خلال الشواهد الشعرية التي إطلعنا عليها ، فشكلت علامة واضحة على الرغبة في اغتنام الفرصة بالنسبة للطرف الغازي بينما يكون الخصم في غفلة من أمره فالخصم يغط في نوم عميق ،أي أنّه غير مستعد للقتال ،

---

[32] – بهيج قنطار، الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1406هـ – 1986م، ص363.

[33] – عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، وزارة الثقافة، القاهرة، 1973م، ص250.

[34] – عروة بن الورد، الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2005م، ص17 – 18.

وما ن يعلم بالغارة حتى يصيبه الإرتباك والفزع كما أن وقت الصباح لطيف الجو قياساً بوقت النهار الحارق في الصحراء والليل المظلم ، فهو أنسب وقت للإغارة[35].

ومن ذلك اتخاذ جيش عامر بن الطفيل من الليل ساتراً له ليقطع طريقه نحو الخصوم، ويباغتهم بغارة في الصباح الباكر، يقول:

وبّيتنا زبيداً بعد هدءٍ ** فصبح دارهم لجباً لهاما[36]

ويقول أيضاً:

لقينا جَمْعَهُم صُبْحاً فكانوا ** كمِثلِ الضّأنِ عَادَاهُنَ سيدُ[37]

أصبح الخصوم المباغتين أمام تلك الغارة المفاجأة كقطيعٍ من الضأن، وقد هاجمه ذئب ماكر سريع فتشتتوا مذعورين، وتتجسّد علامة الصباح الباكر في قول قيس بن الخطيم :

ونصدقُ في الصباح إذا إلتقينا ** ولو كان الصبــاحُ جحيم جمرٍ[38]

وهنا نصل إلى نتيجة مفادها أنّ اختيار الصباح الباكر الذي إعتاد عليه الفرسان العرب تقليداً حربياً يعدُّ علامة واضحة في تحديد حيازة النصر للطرف الغازي، فكانوا يطربون بالنصر الذي سيكون لهم وهم يُصبحون أعداءهم بكتائبٍ تضرب الهامات ،و يهوي فيها الفرسان بأسلحتهم على الخصوم كالبزاة الكواسر، فيتحوّل الصباح الهادئ إلى جحيم على الخصوم المُباغَتين[39].

أمّا الكرّ والفرّ فهما أسلوبان أَلِفَهُما المتلقي في الشعر الجاهلي ، فهما دلالتان متضادّتان يوظفهما الفارس في الحرب ، فالكرُّ إقدامٌ بجراءةٍ وثبات ، والفرُّ إنهزام بحيلةٍ ودهاء ، ولكن الإنزياح المتأتي عنهما بوصفهما علامتين دالتين تُحيلنا إلى أن الكرُّ ينزاح دلالياً عند لشعراء الفرسان من الصولة المتقطّعة زمنياً إلى صولة دائمة زمانياً تصلح لكلِّ ظرف وحدث ، في حين نجد أنّ الفرَّ بوصفه علامة دلالية عند الشعراء الفرسان ينقسم إلى بُعدين ، يتمثَّل بعده الأول عند عروة وعنترة وقيس أنّها علامة ذات بُعدٍ واحد تُحيل إلى الإنهزام ، في حين نجدها عند عامر بن الطفيل تتجه إلى دلالة مخالفة للهروب ومضادّة للإنهزام إذ صيّرها جزءاً من الإنتصار وأُسلوباً حربياً يُمارسه الفرسان، إنّ الصفة الملازمة للفارس هي الكرُّ ، بوصفها تُمثّل علامة من علامات الجرأة والشجاعة ورفض الهزيمة، فالتوتر النفسي يُحفزّه على القيام بالفعل الفروسي

---

[35] – أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1972م، ص240.

[36] – عامر بن الطفيل، الديوان، تحقيق: محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2001م، ص70.

[37] – المصدر السابق، ص91.

[38] – قيس بن الخطيم، الديوان، ص184.

[39] – القيسي، نوري حمودي ، شعر الحرب عند العرب، ص29.

ويصل إلى هدفه المنشود وهو تحقيق النصر والظفر في ساحة القتال[40].

يصوّر عروة بن الورد حالة الثبات التي يكون عليها في ساحة المعركة عند ملاقاته الأعداء رافضاً فكرة الفرار تماماً، بل يرى أنّ حكم الفارّ من المعركة حكم من لم يشترك بها أساساً،ويستمرُّ هو في كرّه وثباته من دون تراجع، وإن أحجمت الخيل عن خوض المعركة ،كما يرفض مساواته مع الآخرين الذين لا يملكون القوّة والجراءة على القتال وخوض الحروب، فيقول:

أتجعل إقـدامي إذا الخْيلُ أحجمتْ ** وكرّي ، إذا لم يمنـع الدُّبرُ مانعُ

سواءً ومن لا يُقْدم المُهـر في الوغى ** ومنْ دبْرُهُ عنْد الهـزاهز ضائعُ

إذا قيـل: يابْن الورد أقدم إلى الوغى ** أجبـتُ فلاقـاني كمـيٌّ مــقّارعُ

ولا بـصري عند الهيـاج بطــامحٍ ** كأنّي بعيـرٌ فارق الشَّــول نازعُ[41]

يمتلك عروة بن الورد القدرة على ضبط نفسه في المعارك فلا تهزّه أهوالها ، وإن بلغتْ ذروتها فهو ثابت لا يزيغ بصره هنا وهناك محاولاً البحث عن مهربٍ ما من المواجهة، وهو بذلك يخالف الصعاليك الذين لايجدون حرجاً من الفرار ، بل على العكس يفتخرون بسرعتهم في العدو عند الهرب التي لا تضاهيها حتى سرعة الخيول[42]، أمّا عروة فقد اختط لنفسه فلسفة خاصة تقوم على المواجهة،وعدم التخاذل ، فمواجهة الموت خير من الفرار والهزيمة.

ويفتخر قيس بن الخطيم أيضاً بعدم فراره وقومه من ساحة المعركة ، وكُلّ ما يفعلونه هو إتقاء ضربات العدو بالمناكب وصدود الوجوه ، مع ثباتهم في المواجهة فكُلّ ما يفعلونه إتقاءً لا فراراً ، وهو من المهارات القتالية التي يُجيدها الفرسان، إذْ يقول:

إذا ما فَرَرْنا كانَ أسوأ فِرارِنا ** صدود الخدودِ وازورارِ المناكِبِ

صُدُود الخُدُودِ والقَنَا مُتَشَاجِرٌ ** ولا تَبْرَح الأقدامُ عنْدَ التَضَارُبِ[43]

وجعل الفرار صفة من صفات الخصوم لعدم قدرتهم على المواجهة، يقول:

ويأبى جمعكم إلّا فراراً ** ويأبى جمعنا إلّا ورودا[44]

من ذلك يتبين أنّ الكرّ علامة واضحة من علامات جرأة الفرسان ، ولم تتوقف عند هذا الحدّ بل كانت

---

[40] – الخفاجي، ليلى نعيم ، البواعث النفسية في شعر فرسان ما قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص132.

[41] – عروة بن الورد، الديوان، ص65 – 66.

[42] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص211.

[43] – قيس بن الخطيم، الديوان، ص87.

[44] – المصدر السابق، ص149.

علامة على مجاراة الخيول لفرسانها في الإقدام ،حتى أصبح الكرّ صفة ملازمة لهما معاً وإن أحجم الفرس عن الكرّ زجره صاحبه مخبراً إيّاه أنّ الفرار خزاية ما لم يقترن بعذرٍ مقنع يبرّر ذلك ، يقول عامر:

وقــدْ عَلِمَ المزنــوقُ أنّي أكُرُّهُ ** عَشِيةَ فَيْفَ الرّيــحِ كرَّ المُشَهَّرِ

إذا إزوَرَّ من وَقْعِ الرّماحِ زَجَرْتُهُ ** وقلتُ لَهُ إرجعْ مُقْبلاً غيرَ مُدْبـرِ

وأنْبأتُه أنَّ الفـرارَ خــزَايـةً ** على المَرْءِ ما لمْ يُبْلِ عُذراً فيُعْذَرِ[45]

إنّ علامة الفرار تكون ذات دلالة مقبولة لدى عامر بن الطفيل إذا ماكان هناك عذرٌ يسوّغها لدى الآخرين ، فلا تصبح حينئذٍ عيباً وجبناً، بل وسيلة مناسبة ينتهزها الفارس للنجاة من الأسر، فأصبحت دلالة الفرار مختلفة هنا فهي ليست حالة من الجبن وعدم القدرة على المواجهة، بل أصبحت وقاية يتخذها الفارس والاستعداد لمواجهة أُخرى وأخذ الثأر، ولعلّ الفرار أهون على عامر من الوقوع في الأسر الذي يكون أشدّ من القتل ، لكون القتل يحمل دلالة الشجاعة في حين أنّ الأسر لا يلحق بصاحبه سوى الذلّ ، يقول عامر :

قالتْ سَلامَةُ لمْ يَكُنْ لَكَ عادةً ** أنْ تَتْرُكَ الأعْداءَ حتى تُعذرا

لو كان قتلٌ ياسَلامُ فَزَاحَةٌ ** لكن فَرَرْتُ مخافةً أن أُوسَرا[46]

كذلك كان إنصاف الخصم من التقاليد المألوفة للشعراء الفرسان، وقد اعتادوا ممارسته بعد انتهاء المعركة والبدء بسرد أحداث الواقعة الحربية، فيعمل الفارس على وصف خصمه بصفات جسدية وخُلُقية سامية، ليضع المتلقي أمام علامة تحمل دلالات مُتعددة تفسح له مجالاً للتأويل والتحليل، إذ يعمل الشاعر من خلال هذه العلامة على جعله بإزاء ذاتين تحمل كُلَ واحدة منهما تصوّرات خاصة ، يلجأ إليها الفارس عادة لبلوغ هدف مُحدّد، أو فكرة محددة يترك فيها للمتلقي مهمة بلوغها عن طريق ما تتوافر لديه من علامات وإشارات ، ولا يتردّد الفارس بإلقاء صفاته على خصمه فتترشّح لنا علامة تحمل دلالة الفخر غير المباشر وبذلك يصبح الخصم مرآة لصورة مُنعكسة عن ذات الشاعر الفارس مُتخذاً من ذلك وسيلة لإظهار شجاعته وتمكنه من فنون القتال وإلاّ لما تمكّن من القضاء على خصمه الفارس المدجّج المتمرّس في فنون القتال وأساليبها محاولاً بذلك كسب احترام الآخرين وتقديرهم وتبوّئ مرتبة عُليا بين أفراد القبيلة وهو ما يتحقّق بالانتصار على أفاضل القوم لا أراذلهم ، وقد اشتهر العرب بهذا الإسلوب الشعري حتى أطلقوا على مجموعة قصائده تسمية (المُنْصِفات)[47].

وقد تحمل المُنْصِفات دلالة إعجاب الشاعر الفارس بقوّة خصمه على وجه الحقيقة ، ولاسيّما أنّ الشاعر

---

[45] – عامر بن الطفيل، الديوان، ص107.

[46] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص211.

[47] – الزبيدي، نصرة حميد ، ملامح شخصية البطل في شعر الحرب بين الفن والصورة المثالية، مجلة كلية المأمون، بغداد، ع14، 1430هـ – 2009م، ص3.

الجاهلي عُرف بالصدق والواقعية في التعبير، فالأبطال لايُنازلون إلاّ الأبطال، ومن الطبيعي والمألوف في أشعار الحرب العربية أن تكمُن قيمة أي إنتصار للفارس في قوّة عدوّه ، ومن هنا فقد أمعن عنترة في إسباغ سمات أقرب إلى الأساطير في ملامحها ومثاليتها على خصومه الأبطال ولا يُشعرنا بسبب ما تقدّم من حديث عن سمو أخلاقه بأن البطل الخصم سلبي أو شرّير[48]، لذلك نرى الشعراء الفرسان يُبالغون في إعلاء شأن خصومهم ، ولعلّ وصف عنترة لأحد خصومه بالوسامة والحسن ، إذ يقول :

فتركتُه جزر السِّباع ، ينُشْنهُ ** يقضمن حُسن بنانه والمعصم[49]

فوصف الخصم هنا واقعي من دون شك، لأنّ صفة الحسن ليست من صفات عنترة، إذن ليس من الضروري أنْ يخلع الشاعر صفاته على خصمه.

كذلك نجد عامر يفخر بقوّة خصمه وبالتالي بشجاعته هو ، إذ يقول :

يـاربَّ قِرْنٍ قد تَرَكتُ مُجــدّلاً ** ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ رأسِ حَيٍّ جَحْفَلِ

وتَرَكْتُ نِسْوَتَهُ لهُــنَّ تفجُّعٌ ** يَنْدُبْنَهُ أصْــلاً بِنَوحٍ مُعوِلِ[50]

وراح الشعراء الفرسان يفتخرون بقتلهم أكبر عدد من الفرسان الأبطال ، فيتحقق لهم بذلك " النصر المادّي والمعنوي معاً ، فالمادّي يكمن في العدد الهائل من القتلى الذين هم صفوة القوم وقادتهم ، وأحرارهم هؤلاء الذين أُسقطوا في ساحات الوغى على أيدي الشاعر الفارس وقومه ، وأمّا النوعي . وهو الأهم . فيَتَمثَّل في إنتقاء هؤلاء القوم ، وفي ذلك ما يدلّ على شجاعة قوم الشاعر المتميّز وتمرّسهم في فنون القتال[51]

ولم يكن عروة بن الورد أقلّ من سابقيه إنصافاً لخصمه ، فهو لا يُقاتل إلاّ الفرسان الشجعان إذْ يقول :

إذا قيل يابن الورد أقدم إلى الوغى ** أجبتُ فلاقاني كميٌّ مقـارعُ

فأتركه بالقـاع ، رهنـاً ببلدةٍ ، ** تعاورُهُ فيــها الضباع الخوامعُ[52]

وممّا تقدّم تضعنا الشواهد الشعرية للفرسان، بإزاء دلالة ذات وجهين ،الأولى: أنّ الفارس يسعى من خلال إنصاف خصمه إلى إثبات الصفات الإيجابية لـ(الأنا) على (الأنتَ) فيكون فخراً غير مباشر للذات ،ولاسيّما أنّه لم يُسمَّ الفارس على وجه الخصوص ، بل اكتفى الشعراء الفرسان بذكر صفات الفروسية والإقدام،أومّا الدلالة الأُخرى فهي تعكس جانباً أخلاقياً نبيلاً يتّسم به الفارس الجاهلي من خلال إعترافه

---

[48] – القيسي، نوري حمودي ، دراسات في الشعر الجاهلي، ص115.

[49] – عنترة بن شداد، الديوان، ص64.

[50] – عامر بن الطفيل، الديوان، ص137.

[51] – بو جمعة بو بعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، 2001م، ص63.

[52] – عروة بن الورد، الديوان، ص66.

بشجاعة خصمه والشهادة له بها.

ممّا تقدّم نرى أنّ مجموعة التقاليد التي تُمثّل علامات دلالية تنوب مناب أفكار معيّنة موجهة إلى المتلقي لبلوغ غاية ما ، فكانت تلك التقاليد بمثابة بصمات نفسية تعكس مايجول في ذات الشاعر الفارس من توترات ومن ثمّ ينتج الفعل الشعوري الذي يتوقعه الفارس من الخصم ، إستفزازاً ، أو إرباكاً، أوتخاذلاً.

وهكذا يرى الباحث أنّ الشاعر الفارس لم يكن بمعزل عن التأثيرات النفسية ، بل جعل منها وسائل هجومية ودفاعية الى جانب الأسلحة المادّية الملموسة وسخّرها لصالحه وفي سبيل حيازة النصر والحاق الهزيمة بخصومه . كما لم يكن السلاح مجرّد وسائل قتالية مادّية ، بل امتلك ابعاداً رمزية واخلاقية ونفسية ،إنعكست على تصوير الشعراء لها ورسمهم لأجزائها بشكل مبالغ فيه.

ثانياً: العوامل المؤثرة في الأدب الجاهلي:

أولاً: اللغة:

تُعدّ اللغة من أبرز العوامل المؤثرة في الناحية الأدبية، وتحدث العرب في الجاهلية عدة لغات ولهجات، من بينها السبئية والحميرية والحبشية والعبرانية، لكن اللغة العبية الرسمية والتي كانت لغة الشعر والأدب الجاهلي هي اللغة العربية العدنانية، وهي من أحدث اللغات السامية عهداً وأقربها ظهوراً، والعدنانية هي أقرب اللغات السامية إلى السامية القديمة، لأن الجنس العربي عاش في عزلة تامة بعداً عن العالم، ولم يختلط بغيره اختلاطاً كاختلاط الأجناس الأخرى بسواها، ولم تخضعهم أمم أخرى لحكمهم، ونتيجة لذلك لم تتأثر لغتهم تأثراً كبيراً بغيرهم[53].

وتنقسم اللغة العربية بوجه عام إلى لهجتين: هما لهجات القبائل العدنانية شمالي الجزيرة، ولهجات القبائل القحطانية جنوب الجزيرة وهي اللغة الحميرية، ولها حروف تخالف الحروف العربية المعروفة، وأنّ لها صيغاً في التنوين وجمع المذكر السالم وجمع التكسير وأداة التعريف وغيرها تخالف لغة أهل الحجاز، وكذلك تختلف حروف بعض الكلمات فهمزة (أفعل) في بعض الكلمات الحميرية هاء[54].

أما لغة الشمال أو الحجاز أو اللغة العدنانية فهي أحدث من لغة الجنوب، والشعر الجاهلي مروي بها، لأنّ الشعراء الذين نظموا هذا الشعر إما من ربيعة أو مضر وهما فرعان عدنانيان، وإما من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال كعلي وكندة وتنوخ، واللغة العربية العدنانية مزيج من لهجات مختلفة اختلطت بعضها ببعض وصارت لغة واحدة بعد أن فني أصحاب اللهجات الأولى وبادوا بالحروب والهجرة والامتزاج بغيرهم [55].

---

[53] – محمد لطفي جمعة، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، 1344هـ – 1926م، ص107

[54] – ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص234.

[55] – المرجع السابق، ص166.

وقد كان للحروب والتجارة والحج أثراً كبيراً في اختلاط القبائل وتفاهمها وتقارب لغاتها، فاختلط العدنانيون بالقحطانيين، وتأثرت لغاتهم بهذا الاختلاط، وقد كان للحج أثراً واضحاً في تهذيب اللغة، فقد كان العرب يحجون إلى الكعبة، وكانت قريش تتصل بهم ويتصلون بها، وكان القرشيون على قسط من المعرفة والرقي الفكري، وفيهم ذوق ولهم ملكات ناضجة في النقد اللغووي، فكانوا يميزون بين اللهجات والألفاظ ، ويقتبسون من لهجات القبائل أعذبها ومن الفاظهم أسهلها وأفصحها، ويضيفون ذلك إلى لغتهم، فهذبوا لغتهم حتى خلت من السقيم والمستبشع من الألفاظ واللهجات، كما كانوا في رحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن وفارس والحبشة يأخذون من لغات هذه الأمم بعض الفاظها ويدخلونها في لغتهم بعد أن ينطقوا بها نطقاً عربياً فصيحاً، وهو ما يُسمى بالتعريب، وبذلك زادت ثروة اللغة العربية العدنانية القرشية، وقلّدت القبائل الأخرى قريشاً في ذلك ، وحاكتها في لغتها وأخذت عنها، فكان بذلك لقريش أثر كبير في تهذيب اللغة، بل كانت تقوم بما تقوم به مجامع اللغة العربية الآن، وصارت لغة قريش أعذب اللغات لفظاً، وابلغها اسلوباً، وأوسعها مادة[56].

ثانياً: الأسواق:

أسواق العرب فى الجاهلية عبارة عن تجمعات تجارية واجتماعية وثقافية ، و كل سوق يرتبط بالمكان الجغرافي له إذْ يستمد منه اسمه وخصائصه، وكانت الأسواق تُعقد في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة بطريقة دورية، ويأتيها الاعراب من كل الأرجاء فيتاجرون ويسمعون المواعظ والخطب ويتنافرون ويتفاخرون ويسعون في فك أسراهم عند القبائل الأخرى، كما كانوا يتناشدون الشعر ويتحاكم مبدعوه إلى كبارهم، كالنابغة الذبياني الذي كانت تضرب له قبة حمراء من أدم فيحكم بين الشعراء، وتكون كلمته هي الفاصلة، وكانت القصائد التي تحوز إعجاب هؤلاء المحكمين تطير في أرجاء الجزيرة ويتناشدها الاعراب في كل مكان[57].

ومن أشهر الأسواق في الجاهلية سوق عكاظ ، وسُمي بهذا الاسم، لأنّ العرب كانوا يجتمعون فيه فيعكظ بعضهم بعضاً، أي يغلبه ويقهره في التباهي والمفاخرة، وهو أهم أسواق العرب يقع في الجنوب الشرقي من مكة، وعلى بعد عشرة أميال من الطائف، ونحو ثلاثين ميلًا من مكة في وادٍ فسيح فيه نخيل وأعشاب وماء، وقد كان وادياً متسعاً وفسيحاً تقيم فيه العديد من القوافل العربية، وتتخذ كل قبيلة فيه مكاناً معيناً لها، وكان يمتاز بوفرة أشجار النخيل والمياه فيه، ومما جعله موقعاً جغرافيا متميزاً قربه من مكة وهي مركز التجارة للعرب[58]

وتكمن أهميته في وقوع الحج بعده مباشرة وفي قربه كذلك من مكة، فمن أراد الحج من العرب سَهُل عليه أن يجمع بين الغرض التجاري والاجتماعي بغشيانه سوق عكاظ وبين الغرض الديني بالحج، كما كانت تنعقد

---

[56] – محمد لطفي جمعة، الشهاب الراصد، ص131.

[57] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص137.

[58] – المرجع السابق، ص139.

في شهر من الأشهر الحرم لا تقرع الأسنة فيه حتى ليلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يزعجه تعظيمًا له، وفي انعقاد السوق في الشهر الحرام مزية واضحة، وهي أن يأمن التجار فيه على أرواحهم وأموالهم، وكان يأتي إلى عكاظ قبائل قريش وهوازن وغطفان والأحباش، فتنزل كل قبيلة في مكان خاص بها، وفي التاريخ: أنّ رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ذهب مع العباس ابن عبدالمطلب إلى عكاظ ليرى منازل القبائل فيها، ويروى كذلك أنه عليه الصلاة السلام جاء كندة حيث ينزلون بعكاظ[59]

ويروي ابن الأثير أنّ النعمان بن المنذر لما ملَّكَهُ كسرى إبرويز على الحِيرة كان يجهز كل عام لطيمة، وهي القافلة من التجارة لتباع بعكاظ، فنرى من هذا أن بلاد العرب جميعًا كانت تشترك في هذه السوق[60]

وكثيرًا ما تتخذ السوق وسيلة للخطبة والزواج، فيروي صاحب "الأغاني" أنه اجتمع يزيد بن عبدالمدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ، وقدم أمية بن الأسكر الكناني وتبعته ابنة له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد وعامر، فتردد أبوها، ففخر كل منهما بقومه وعدد فعالهم شعرًا، ومَن كان صعلوكًا فاجرًا خلعته قبيلته في سوق عكاظ وتبرأت منه ومن تصرفاته، مثلما فعلت خزاعة حين خلعت قيس بن منقذ بسوق عكاظ وأشهدت الناس على ذلك معلنة أنّها لا تطالب بأية جريرة يرتكبها ضد أي إنسان، ومن كان داعيًا إلى إصلاح اجتماعي أو ديني وجد فرصته في عكاظ[61].

وفوق هذا كانت عكاظ معرضًا للبلاغة ومدرسة يُلقى فيها الشعر والخطب؛ إذ كانت بها منابر يقوم عليها الخطيب فيعدد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام، وكانت كل قبيلة تنزل في مكان خاص بها، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في الحلقات المختلفة أو عند شجرة أو حول خطيب يخطب على منبر أو في قباب من أدم تقام هنا وهناك، وكان أشراف القبائل يتوافدون بالأسواق مع التجار؛ لأنّ الملوك كانوا يخصون كل شريف بسهم من الأرباح، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده، إلا عكاظ؛ فإنهم يتوافون بها من كل صوب[62]

كان فى تلك الاسواق حكام قولهم فصل و يعتبر ذلك بداية النقد الادبى عند العرب حيث كانوا يحكمون على جودة القصيدة، وكان أشهر هؤلا الحكام قاطبة، بل كان هو الحكم المسود بين الشعراء بلا منازع النابغة الذبياني، قال الأصمعي: " كان النابغة الذبياني تُضرب له قُبة من أدمٍ بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأول من أنشده الأعشى، ثم حسّان بن ثابت، ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء أبياتها التي تقول فيها:

---

[59] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6، ص117.

[60] – الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص213.

[61] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص140.

[62] – جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ص93.

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ ** كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فقال: والله لولا أنّ أبا بصيرٍ أنشدني آنفاً لقلت إنّكِ أشعر أهل زمانك من الجنِّ والإنس، فقام حسّان فقال: لأنا والله أشعرُ منها ومنك ومن أبيك، فقال له النابغة: حيثُ تقولُ ماذا؟، فقال: حيثُ أقولُ:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ** وَأَسْيَافُنَـا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَـاءِ وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ ** فَأَكْرِمْ بِنَا خَالا وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَ مَا

فقال له: يا بُنيّ إنّك قلت لنا الجفناتُ فقللت عددك، وقلت يلمعن بالضحى، ولو قلت في الدُّجى لكان أفخر، لأنّ الضيفان يكثرون بالليل، وقلّلت عدد اسيافك وقلت يقطُرن ولو قلت يجرين لكان أكثر للدّم وفخرت بمن ولدته، ولم تفخر بمن ولدك"[63].

فقد استطاع النابغة الذبياني بتغيير بعض كلمات هذه الأبيات تغييراً لم يخل بالوزن ولا القافية أن يحيل المعنى الى الأفضل من حيث القوة والجزالة اللفظية وهذا يدل على إحتلال العرب منزلة رفيعة وبلوغهم شأواً عظيماً من حيث الفصاحة والبلاغة[64].

ومن أشهر شعراء سوق عكاظ: امرؤ القيس الكندي: لُقِّب بالملك الضليل وتوفّي في العـام 540م، وطرفة بن العبد البكري: كان أقصرهم عمراً، اشتهر بالغزل والهجاء توفّي في العام 569م، والحارث بن حلزة اليشكري اشتهر بالفخر، وأطول الشعراء عمراً توفّي في العام 580م، عمرو بن كلثوم: كان مشهوراً بالفخر وتوفّي في العام 600م،علقمة الفحل: كان شاعراً بدوياً من فحول الشعراء العرب توفّي في العام 603م، النابغة الذبياني: زعيم الشعراء في سوق عكاظ ومحكم الشعر المخضرم، وتوفّي في العام 604م،عنترة بن شدّاد العبسي: اشتهر بأنّه أحد فرسان العرب وتوفّي في العام 615م، زهير بن أبي سُلمى: كان أعفّهم قولاً وأكثرهم حكمةً، وابنه كعب بن زهير من شعراء صدر الإسلام توفّي في العام(627م)، الأعشى الأكبر (أعشى القيس) توفى في العام 629م، لبيد بن ربيعة العامري وهو الوحيد الذي أسلم وقال الشعر في العهد الجاهلي والإسلامي، وتوفى في العام (661م) وله من العمر مائة عام[65].

أما أهم مخرجات الأسواق فهي المعلقات، وهي من أهم أشعار العرب في الجاهلية، وكانت من أدقّه معنى ، وأبعده خيالاً ، وأبرعه وزناً ، وأصدقه تصويراً للحياة ، التي كان يعيشها العرب في عصرهم قبل الإسلام ، ولهذا كلّه ولغيره عدّها النقّاد والرواة قديماً قمّة الشعر العربي، وقد سمّيت بالمطوّلات ، وأمّا تسميتها المشهورة فهي المعلّقات[66]

---

[63] – الاصمعي، الاصمعيات، ص219.

[64] – سعد الدين حمود ،تاريخ الادب الجاهلى ، دار الشروق للنشر، القاهرة ، 2000م ، ص53.

[65] – ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ص134.

[66] – ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص362.

فالمعلّقات لغةً من العِلْق : وهو المال الذي يكرم عليك تضنّ به ، تقول : هذا عِلْقُ مضنَّة . وما عليه علقةٌ إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير ، والعِلْقُ هو النفيس من كلّ شيء ، وفي حديث حذيفة : (فما بال هؤلاء الّذين يسرقون أعلاقنا) أي نفائس أموالنا، والعَلَق هو كلّ ما عُلّق[67]

وقد سُميت بالمعلقات أو المذهبات، لأنّهم استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على الكعبة وهذا ما ذهب إليه ابن عبد ربّه في العقد الفريد ، وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم ، يقول صاحب العقد الفريد : « وقد بلغ من كلف العرب به، أي الشعر، وتفضيلها له أنْ عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلّقتها بين أستار الكعبة فمنه يقال : مذهّبة امرئ القيس ، ومذهّبة زهير ، والمذهّبات سبع ، وقد يقال : المعلّقات[68].

ذهب ابن عبد ربّه ومثله ابن رشيق والسيوطي وياقوت الحموي وابن الكلبي وابن خلدون وغيرهم إلى أنّ المعلّقات سمّيت بذلك; لأنّها كتبت في القباطي بماء الذهب وعلّقت على أستار الكعبة ، وذكر ابن الكلبي : أنّ أوّل ما علّق هو شعر امرئ القيس على ركن من أركان الكعبة أيّام الموسم حتّى نظر إليه ثمّ أُحدر ، فعلّقت الشعراء ذلك بعده[69].

وذكر البغدادي في "خزانة الأدب" في معنى المعلقة ، قائلاً : "إنّ العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ له ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرض على أندية قريش، فإنْ استحسنوه روي وكان فخراً لقائله وعلق على ركن الكعبة حتى ينظر إليه[70].

فالمعلقات هي من خير شعر العرب وأدله على لغتهم وبلاغتهم و وصف حياتهم الاجتماعية ومناحيهم في الحياة ، عُنِي العلماء بجمعها وشرحوها شروحاً مختلفة ، مختصرة ومطولة ، كما عُنِي كثير من المستشرقين بترجمة بعضها إلى لغاتهم والتعليق عليها[71].

ثالثاً: الحروب وايام العرب:

لعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية ، أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء .. حتى لكأن إراقة الدم أصبحت سنة من سننهم ، فهم دائماً قاتلون مقتولون لا يفرغون من دم إلا إلى دم وكانت الحروب تبدأ صغيرة ضعيفة ثم تقوى ويصطلي الجميع بنارها ، بل يترامون فيها ترامي الفراش فيه أمنيتهم ومبتغاهم[72].

---

[67] – المصدر السابق، ج9، ص362.

[68] – الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الهلال، بيروت، 1988م، مادة (علق)ج1، ص162.

[69] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت)، ص257.

[70] – البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ، ج1، ص124.

[71] – الزوزني، أبو عبد الله بن احمد، شرح المعلقات السبع، طيبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 2007م، ص21.

[72]– نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ص72.

وقد كانت الحروب الطاحنة دافعاً للشعراء لنظم الشعر، فنظموه ناصحين لرؤساء القبائل وسادتها بالتوقف عن سفك الدماء وإيقاف نزيف الدم الذي لا طائل منه، والذي لا يوجد فيه منتصر وخاسر فالمنتصر مهزوم في أنه أصبح قاتل ابن عمه وأخيه العربي، وأنه يتم ابن أخيه، ورمل زوجته في حرب لا معنى لها، كذلك كان هنالك من الشعراء من تمده هذه الحروب بجذوة الفخر فينشئ القصائد العِظام في الفخر بقبيلته، وانتصاراتها على بقية القبائل، وشجاعة فرسانها، وكذلك كانت هذه الحروب المتواصلة ميداناً خصباً للرثاء، فنتيجة لها يفقد الشاعر أعزاء له فتجود قريحته بأشعار تسيل الدمع وتمزق الأفئدة حزناً وتفجعاً[73]، يقول زهير بن ابي سلمى:

إذا فَزِعُوا طَارُوا غلى مُسْتغيثهم ** طِوال الرِّمـاحِ لا ضِعافٌ ولا عُزَّلُ

فإنْ يُقْتَـلوا فَيُشْـفى بدِمائِـهم ** وكانوا قديـماً مِـنْ منَـاياهُمُ القتلُ[74]

ولقد وصف الشعراء الحرب وصفاً مسهباً فيه فخر واعتزاز، فهذا عنترة بن شداد يصف وطأة الحرب وشدتها، إذ يقول :

ولقَدْ حَفَظْتُ وصَاةَ عمّي بالضَحَى ** إذا تقلّص الشفَتَانِ عن وَضحِ الفمِ

في حومة الموت التي لا تشتكي ** غمراتهـا الأبطال غَيـرَ تَغَمْغُمِ

لمّا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جَمْعُهم ** يَتَذَامَـرُونَ كَرَرْتُ غيـرَ مُذَّممِ

يَدْعُـونَ عَنْترة والرِّمَـاح كأنَّها ** أشـطانُ بئرٍ في لبـانِ الأدهَمِ[75]

نشوة عجيبة يحس بها عنترة وهو يخوض غمرات الموت ، فيسطر لنا مشاعر الفخر والحماسة في معلقته هذه، وكان الشعراء يمدحون الشجاع ويفتخرون بالقوة والشجاعة والفروسية، فالقوة وصليل السيوف، والغارات المريعة، هي قوام حياة العربي في باديته ومجال فخرة وعزه، حتى أصبحت حكمتهم المنشودة تدعو إلى الظلم حتى لا يُظلم ، ولا يجرؤ العدو على انتقاص حقك ، إذْ يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ** يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ** يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم[76]

أي من لا يمنع عن عشيرته يذل ، ويشرح الأصمعي البيت الأول بقول: من ملأ حوضه ثم لم يمنع منه غُشي وهدم وهو تمثيل أي من لان للناس ظلموه.

والى جانب ذلك قدّم أدبنا العربي القديم صفحاتٍ مُشرِقة من أدب الحرب؛ فقد أدّت الكلمة أثراً مشرفًا في

---

[73]– احمد المهدى ، تاريخ العرب ، دار الوراق للطباعة و النشر، الخرطوم، 2000م، ص 33.

[74] – زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص102.

[75] – عنترة بن شداد، الديوان، ص148.

[76]– زهير بن ابى سلمى، ديوانه، ص147.

جميع وَقائع القوم، فكان الشعر العربي منذ أقدم العصور يُواكِب المعارك والأيام والحروب وكان للشعراء أثرٌ في المعارك لا يقلُّ عن دور الفرسان فيها، كانوا يحرِّضون على القتال ، ويذكون رُوحَ الحَمِيَّة والحماسة ، ويشجعون المقاتلين، ويَستَثِيرون الهمم والعزائم ، ويذكرون الأمجاد والأحساب، وإذا ما انتَهت المعركة رَثَوا أبطالَها وفرسانَها، وافتخروا بما حقَّقه الجيش من انتصار وما أَوقَع في جند العدو من هزائم، واتَّخذ الشعراء من ذلك كله وسائلَ فخر وإعلان ودعاية[77].

والشعر العربي القديم شعر معارك وأيام ، فقد كانت الغارة مَعْلَمًا واضحًا من معالم الحياة الجاهلية ، وكانت الحروبُ بين القبائل لا تكاد تهدأ ، وكان الشِّعر دائمًا يواكبها، لا يتخلَّف عنها في صغيرة ولا كبيرة، بل هو الذي كان يُشعِلها، ويوقد جذوتَها في كثيرٍ من الأحيان، وقد بلغ من مشاركة هذا الشعر في المعركة أنْ صار وثيقةً تاريخية مهمَّة عند المؤرخين والباحثين والدارسين، عند تَسجِيل أيام العرب وحروبها، بل هو من أهم الوثائق في هذا الميدان[78].

[77]– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ – 1997م ص205.

[78]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ج1، 112.

النتائج:

1. قسّم النقاد والكتّاب والباحثين في تاريخ أدب العرب قبل الإسلام الشعراء في الجاهلية إلى قسمين هما الشعراء الصعاليك والشعراء الفرسان.
2. يتردد في شعر الصعاليك صيحات الجزع والفقر والثورة نتيجة للحياة التي يعيشونها.
3. أشعار الصعاليك حافلة بالحديث عن الفقر ، فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحداً.
4. كان أمير الشعراء الصعاليك هو عروة بن الورد.
5. أهم الأسباب التي دفعت العربي إلى اعتناق الفروسية ، هي فكرة الموت والفناء التي جعلته حريصا على بلوغ الخلود المعنوي من خلال تلك الخصال الحميدة والاتصاف بها.
6. أنّ الشاعر الفارس يسعى من خلال إنصاف خصمه إلى إثبات الصفات الإيجابية لـ(الأنا) على (الأنتَ) فيكون فخراً غير مباشر للذات.
7. تُعدّ اللغة من أبرز العوامل المؤثرة في الناحية الأدبية.
8. كانت عكاظ معرضًا للبلاغة ومدرسة يُلقى فيها الشعر والخطب.
9. المعلقات هي من خير شعر العرب وأدله على لغتهم وبلاغتهم و وصف حياتهم الاجتماعية ومناحيهم في الحياة.
10. كانت الحروب الطاحنة دافعاً للشعراء لنظم الشعر، فنظموه ناصحين.
11. الشعر العربي القديم شعر معارك وأيام ، فقد كانت الغارة مَعْلَمًا واضحًا من معالم الحياة الجاهلية.

المصادر والمراجع:

1. أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1972م.
2. أحمد المهدى ، تاريخ العرب ، دار الوراق للطباعة و النشر، الخرطوم، 2000م.
3. أدونيس، علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط3، 1979م.
4. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق على ذهني وسمير جابر ، دار الفكر، بيروت.
5. الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1994م.
6. البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ.
7. بهيج قنطار، الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1406هـ - 1986م.
8. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
10. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
11. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت).
12. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت.
13. جمعة بو بعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، 2001م.
14. ابن حمدون، محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (562هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ.
15. حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م.
16. حنفي سيد، الفروسية العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، 1960م.
17. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017م.
18. الخفاجي، ليلى نعيم ، البواعث النفسية في شعر فرسان ما قبل الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب.
19. رحيق صالح فنجان، شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 1432هـ - 2011م.
20. الزبيدي، نصرة حميد ، ملامح شخصية البطل في شعر الحرب بين الفن والصورة المثالية، مجلة كلية المأمون، بغداد، ع14، 1430هـ - 2009م.

21. زهير بن أبي سلمى، الديوان، تحقيق: علي حسن قاعور، دار الكتب العلمية،ة بيروت، لبنان، 1480هـ - 1988م.
22. الزوزني، أبو عبد الله بن احمد، شرح المعلقات السبع، طيبة للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 2007م.
23. الزيات, احمد حسن الزيات, تاريخ الأدب العربي, دار النشر. بيروت،, ط1, 2006م.
24. سعد الدين حمود ،تاريخ الادب الجاهلى ، دار الشروق للنشر، القاهرة ، 2000م.
25. شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص1970م.
26. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
27. عامر بن الطفيل، الديوان، تحقيق: محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2001م.
28. عبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1958م.
29. ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت.
30. عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، وزارة الثقافة، القاهرة، 1973م.
31. عروة بن الورد، الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2005م.
32. علي الغالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي، الأمالي في لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ - 1978م
33. عنترة بن شداد، الديوان ، تحقيق: يوسف عيد، دار الجيل ، بيروت.
34. الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبعة الهلال، بيروت، 1988م.
35. القيسي، نوري حمودي ، البطل في التراث، بغداد، العراق، ط1، 1988م.
36. القيسي، نوري حمودي، الفروسية في العصر الجاهلي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
37. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (751هـ)، الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود، دار الأندلس، حائل، ط1، 1414هـ - 1993م.
38. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ - 1997م.
39. محمد زكي العشماوي، دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية ، بيروت، 1980م
40. محمد لطفي جمعة، الشهاب الراصد، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، 1344هـ - 1926م.
41. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
42. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت.
43. نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
44. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط4، (د. ت).